دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، خريف ۱۳۹۶، العدد الخامس والثلاثون: صص ۲۷- ۴۴

العدول الأسلوبی فی شعر محمّد مهدی الجواهری(دراسة وتحلیل)

محمّدتقی زند وکیلی*

تاریخ الوصول: ۹۶/۱/۸
تاریخ القبول: ۹۶/۶/۱۵

الملخّص

یتناول هذا المقال بعضا من ظواهر الإنزیاح أو العدول الأسلوبی فی شعر *محمد مهدی الجواهری*، أحد أقطاب شعراء العراق المعاصرین، وذلک من خلال دراسة العدول الاستبدالی والترکیبی اللذین یعتبران سمتین من سمات الإبداع ومظهرین محسوسین لانفعال داخلی من خلال الخروج عن الأنساق المألوفة، مما یکشف عن أهمیتهما فی خلق علاقات لغویة جدیدة تصدم القارئ وتثیره، وقد وجدت الدراسة هذه أن هذا المنحی الأسلوبی قد أضفی علی النصّ جمالیّات مهمة أسهمت فی تقدیمها برؤیة خاصة خدمت دلالات النص، وقد حاولت الدراسة تطبیق هذه الظاهرة الأسلوبیة علی دیوان الجواهری بالإعتماد علی المنهج الوصفیّ والتحلیلی وکونها تمثل قمة النضج الفنی إذ تتعمق فیها التجربة الشعریة التی عاشها الشاعر العراقی العملاق من خلال الجو السیاسی والاجتماعی فی بلاده وبخاصة الوطن الذی کان یحبه حبا شدیدا؛ فقد فجر شاعریته من خلال فیضان الحب والأسی؛ فعاطفته نابعة من أحاسیس صادقة وقد عبر *الجواهری* عن تجربته من خلال خروجه عن المألوف لیضفی علی فنه جمالا خاصا یتمثل فی بناء جمالی، یحکم عناصر الصورة ویشدها إلی الإبداع والتمیز.

الکلمات الدلیلیة: الأسلوب، العدول اللأسلوبی، الاستبدالی، الترکیبی، الجواهری.

* أستاذ مساعد فی اللغة العربیة وآدابها بجامعة سیستان وبلوتشستان، زاهدان، إیران.
mt.zandvakili87@gmail.com

المقدمة

فی تعریف العدول اصطلاحا، اختلفت الآراء حول تحدید مفهومه باختلاف المذاهب والتیارات بل واختلف باختلاف تصوراتهم، وهذا ما جعلنا نجد صعوبة فی الإختیار والتحدید ومهما یکن «إنّ العدول ظاهرة أسلوبیة جمالیة یعمد إلیها الشاعر أو الکاتب باعتبارها وسیلة لأداء غرض معین؛ إذ نجد هذه ظاهرة قد انتشرت بصورة کبیرة فی العصر الحدیث وخاصة فی القصائد النثریة وهذا لا ینفی وجود إشارات النقدیة لها عند النقاد القدماء من خلال عدة صور»(صالح، ٢٠١١: ۴).

فالعدول یعدّ تصرّفاً فی الکلام ویدلّ علی الانحراف عن النسق المألوف فی سیاق أدبی یجعل اللغة غایة لتحقیق الجمالیة فی الشعر. إنّ مصطلح العدول یستخدم بنحو شائع فی الأسلوبیة حتی أنّه یتراءی فی تعریفه الأسلوب بنفسه. یری *بییرجیرو* الفرنسی أن الأسلوب انحراف عن النمط وانتهاک له ومخالفته ویتخذ *سبیترز* الآلمانی من مفهوم العدول، مقیاسا لتجدید الخاصیة الأسلوبیة عموماً ومسباراً لتقدیر کثافة عمقها ودرجة نجاعتها وثمّ یتدرّج فی منهج استقرائی یصل به إلی مطابقة بین جملة هذه المعاییر وما یسمیه بالعبقریة الخلّاقة لدی الأدیب(المسدی، ١٩٨٢: ١٠٢-١٠٣). علی الرغم من کثرة أقسام العدول وتعددها عند النقاد التی تصل إلی خمسة عشر عدولاً، ومنها الاستبدالیة، الترکیبیة، الموضعیة، الشاملیة، الداخلیة، الخارجیة، السلبیة والإیجابیة، الصوتیة، الخطیة، النحویة، الصرفیة، الدلالیة والمعجمیة و ... (ابوالعدوس، ٢٠١٠: ١٨٢).

نخصّ منها بالذکر هنا ذلک التقسیم الذی ینقسم فیه العدول إلی نوعین وهو الاستبدالی والترکیبی(لوط، ٢٠١١: ١۵). فالعدول الاستبدالی یشمل الاستعارة والمجاز والکنایة والتشبیه(ویس، ٢٠٠٢: ١١٠)، ویشمل العدول الترکیبی التقدیم والتأخیر والحذف والذکر والاعتراض والالتفات(ویس، ٢٠٠۵: ١١٢).

حرکة الحداثة فی الشعر العربی المعاصر تدفع الکثیر من الشعراء أن یستخدموا العدول لتبیین مشاعرهم وأفکارهم ویستخدم الشعراء المعاصرون الأدوات التقلیدیة والمستحدثة وفی التشکیل الجمالی لنصوصهم الشعریة، والنص الشعری الجید هو الذی یستطیع مبدعه أن یخلق من هذه الأدوات صورة متکاملة حیّة تتّسق مع الفکرة والعاطفة وفی سبیل هذا، یکون العدول عن المألوف من المؤثرات الهامة فی طریق استخدام الأمثل للغة

الشعرية ويقوم بالدور الأساسی فی فهم هيكلية الشعر. ومـنهم محمـد *مهـدی الجـواهری* الشاعر العراقی وهو أحد من الشعراء المعاصرين الذين توجّهوا إلـی العـدول الـذی اعتمـد على الخروج عن المعيار ورغب فی خلق التـوتر فـی البنيـة المثاليـة الأصـلية. فمـن هـذا المنطلق، إنّ هذا المقال يهدف دراسة ظاهرة العدول الاستبدالی والتركيبی عند *الجواهری* ودارسها بالمنهج الوصفی والتحليلی فی ديوانه الشعری ويحاول إلى تقـدير اسـتخدام كـل من أقسام هذين العدولين المذكورين وتبيين أسباب استخدامهما كما يسعى إلى تعريـف المصطلح وتأصيله.

مشكلة البحث

إنّ الشاعر إذا يجد مجالاً للتعبير عن تجاربه وهو يتحرک بين جنبات النحـو والبلاغـة على حد السواء، موظفا ما شاء من الأساليب صعوداً أو هبوطاً بين المستويات تحيـل إليهـا تجربته. إبراز الجهد الذی يقوم به الشاعر حـين يقلـب اللغـة فـی محاولـة للإنفـلات مـن النمطية والاحتذاء والتعبير عن ذاته مبرزاً تميزه وتفـرده فـی مجـال الاسـتخدام اللغـوی، وهذا فی الأصل الدافع إلى العدول ومجاوزة السنن المألوفـة فـی التعبيـر والصـياغة حتـی التفكير وهی الجزئيات التی يشتمل عليها الأسلوب عامة كما أن *الجواهری* فی تعامله مـع الأنساق اللغوية يشعر على الدوام بضرورة على تخطيه المألوف ليتحول كلامـه إلـی صـيغ فنية، والمسألة التی يدفعنا إلى دراسة هذا الموضوع، كشف المسافة التی قطعها *الجواهری* فی استخدامه اللغة بصورة مغايرة لما هو وضعی له وضروب مختلفـة مـن الأسـاليب التـی أتبعها الشاعر للتعبير عن تجاربه وأثرها فی أداء المعانی.

أهداف البحث

۱- تبيين مفهوم الأسلوب والعدول الأسـلوبی علـی الأسـاس آراء النقـاد والدارسـين المحدثين فی هذا الباب.

۲- التعبير عن الشاعر لتعريف القراء معه.

۳- ظواهر العدول الأسلوبی فی شعر محمد *مهدی الجواهری*.

منهجية البحث وإجراءاته

اتبعنا المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، وفي تحديد ظواهر العدول والانحراف عن المألوف والوقوف عند هذه الظواهر في شعر *الجواهري* منهجنا الوصفي، وأما في مزاولة النصوص والكشف عن الأغراض الكامنة وراء عدول الشاعر منهجنا التحليلي.

خلفية البحث ومجاله

وأما بالنسبة لخلفية البحث ففي ما يلي نشير إلى أهم ما بذلت من الدراسات في هذا المجال، وهي: «ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يؤيد الكاتب»(٢٠٠٥) من *صالح علي سليم الشتوي* تتمحور هذه الدراسة حول الانزياح وأنواعه و ... و«الانزياح اللغوي»(٢٠١٤) من *نعمان عبد السميع* عالج الكاتب في أثره الانزياح في الدراسة العربية القديمة والحديثة على أساس دراسة تطبيقية و«شعرية الانزياح بين عبدالقاهر جرجاني وجان كوهين»(٢٠١٢) من *سعاد بولحواش* وهي دراسة تطبيقية مع إلقاء نظرة سريعة على التراث العربي فاستنتج الباحث من دراسته هذه أن معظم مباحث البلاغة قامت على أساس الانزياح و«الانزياح في تراث النقدي والبلاغي»(٢٠٠٢) من احمد محمد ويس " فيتطرق الكاتب إلي دراسة هذه الظاهرة ومقارنتها في علوم الإنسانية منها النقد والبلاغة ويتحدث عن أهميتها في الشعر و" الأسلوبية والأسلوب " (١٩٨٢) من *عبد السلام المسدي* الذي تتحدد الأسلوبية فيها بكونها علماً إنسانياً وإنها قادرة على تعليل الإبداع والنص فلا تغني النصوص الأدبيّة عن إنجازاتها في إنشاء نص أدبي مؤثر و«الانزياح في محوري الاستبدال والتركيبي(٢٠١٠) من *البار عبدالقادر* الذي يعالج الكاتب فيه الانزياح علة أساس النوعين التركيبي والاستبدالي ويجعل فيها ما يتعلق بالعدول عن القواعد النحوية والبلاغية في هذين المحورين، ولكن لم ينتبه إلى جمالية الانزياح وهدفه الحقيقي و... على الرغم من دراسات متعددة في أسلوبية الانزياح على وجود اتّفاق في المعنى أو العدول الأسلوبي. ولكن لم يكتب مقالة حول هذا الموضوع الذي نختاره لبحثنا حتى الآن ودراستنا تقوم على تبيين مفهوم الأسلوب والعدول الأسلوبي في البداية ثمّ ظواهر هذا العدول في شعر *محمد مهدي الجواهري* بالمنهج الوصفي والوقوف عند هذه الظاهرة على المنهج التحليلي في ختام البحث.

العدول فی اللّغة والاصطلاح

تذهب المعجمات اللغوية فی أثناء حديثها عن مادة فعل "عدل" على وجود اتّفاق فی المعنى اللغوی للفظة العدول إذ أشارت جميعها المعنى الميل والخروج كما العدل فی العين: أن تعدل الشیء من وجهه فتميله(الفراهيدی، ۱۹۸۰: ۳۸-۴۰). وعند *أبو المنصور الأزهری* فی «تهذيب اللغة»: «عدل يعدل عدولاً: يميل به عن طريقه»(الأزهری، ۱۹۶۴: ۲۰۸-۲۱۴). وعند صاحب «لسان العرب» العدل: «أن تعدل الشیء عن وجهه أی أعوج ومال»(ابن منظور، لا تأ: ۲۸۳۸-۲۸۴۳). وتكاد تجمع المعاجم العربية على المعنى الميل عن الطريق والانحراف. وأما من وجهة نظر اصطلاحية يمكن القول بأن نقادنا العرب قد فتنوا إلى هذه الظاهرة، فقد وردت عند العرب عدّة مصطلحات قريبة من مفهوم العدول تعكس مدى اهتمام العرب بتجاوز المألوف والخروج عما تواضع عليه ومن أمثلة ذلک: التخييل(قرطاجنی، ۱۹۸۱: ۶۲؛ الجرجانی، ۱۹۷۹: ۲۵۱) والكذب(ابن جعفر، ۱۹۷۹: ۹۴؛ القيروانی، ۱۹۵۵: ۱۹-۲۴) والخروج(ابن أثير، ۱۳۵۶: ۱۰۹؛ السجلماسی، ۱۹۸۰: ۲۹۱) والتجوز(الجاحظ، لا تأ: ۱۰۹). وكل هذا يوحی بوعی القدماء وقدرتهم على تفريق الكلام العادی والكلام الفنی الذی يعتمد على التفرد والتميز والخروج عن المألوف.

وقد ورد مصطلح العدول بشكل واضح فی الموروث البلاغی النقدی عند التعبير عن الحقيقة والمجاز يقول *ابن جنی*: «إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة كمعان ثلاثة وهی الاتّساع والتوكيد والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»(إبن جنی، ۱۹۹۰: ۴۴۲-۴۴۴). وأشار ابن رشد إلى مفهوم مجاوزة الشعراء وقوله: «التغييرات تكون بالموازنة الموافقة والإبدال والتشبيه وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة مثل القلب، الحذف، الزيادة، النقصان، التقديم والتأخير و... وبالجملة بجميع الأنواع التی تسمی عندنا مجازاً»(ابن رشد، ۱۹۷۳: ۲۴۳).

إنّ مصطلح العدول الذی استخدم فی الموروث العربی القديم قد استعمله عند الدارسين المعاصرين، فمنهم من استخدمه بلفظه ومنهم قد استخدمه بمرادفات دالة عليه فقد استعمل هذا المصطلح "العدول" عدد كبير من نقاد العرب(المسدی، ۱۹۸۲: ۱۶۲-۱۶۳) وبصورة عامة فقد ظهرت مصطلحات أخرى كثيرة وصفت الظاهرة من أهمها: الانزياح، البعد، الانحراف، الخرق، الخروج، الانتهاک، النشاز والاتّساع ومع كثرة

المصطلحات الدالة على الخروج عن المألوف وتعددها فقد اخترت مصطلح العدول كونه مصطلحاً برز بصورة مشتركة بين الموروث القديم والحديث. من خلال هذه التنظيرات، نستطيع أن نقول أن العدول هو «استعمال المبدع للغة مفردات وتركيبات وصور استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدّى ما ينبغى له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوة وجذب وأسر»(ويس، ٢٠٠٥: ٤٩).

العدول فى الأسلوب

ينبغى لنا فى البداية أن نشير إلى الأسلوب، وأما مفهوم الأسلوب، فقد تكشف فى المباحث العربية على يد كثير من الأدباء والبلاغيين ولا سيما *عبدالقاهر* إذ وضع له تعريفاً متصلا بالنظم وقوله: «هو الضرب من النظم والطريقة فيه»(الجرجانى، لا تأ: ٢٦١). ولمّا جاء *القرطاجنى* وسّع مفهوم الأسلوب ليشمل النتاج الأدبى كله بما فيه من عناصر داخلة فى الصياغة أو فى أغراض الشعر خاصة حيث يقول: «إنّ الأغراض الشعرية توقع فى واحد منها الجملة الكبيرة من المعانى والمقاصد، وكانت لتلك المعانى جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنى وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلى بعض، وبكيفية الاطراد فى المعانى صورة وهيئة تسمى الأسلوب وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعانى نسبة النظم إلى الألفاظ»(القرطاجنى، ١٩٨١: ٢٦٣). وقد وقف *ابن خلدون* عند تعريف الأسلوب فذكر أنّه: «المنوال الذى تنسج فيه التراكيب أو القالب الذى تفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذى هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب الذى هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذى هو وظيفة العروض ... إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص»(ابن خلدون، ١٩٩٣: ٤٨٩).

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا أهم محاولة استهدفت تحديد مفهوم الأسلوب دراسة *أحمد الشايب* الذى أزال الستار عنه بقوله: «إنّه الصورة اللفظية التى يُعبَر بها عن المعانى أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار»(الشايب، ١٩٦٦: ١٠٠)، «وأما علماء اللغة الغربيون فقد وضعوا تعريفات متعددة للأسلوب أظهرها ما ذكره "البالى" من أنّه مجموعة

من عناصر اللغة المؤثرة عاطفیاً فی المستمع»(فضل، ۱۹۸۵: ۸۶)، وما ذکره *أمادو ألونسو* بقوله هو: «الطریقة التی یتکوّن بها العمل الأدبی فی جملته وعناصره التفضیلیة وهی التی تحدد أنماط المتعة الجمالیة الناجمة عنها»(نفس المصدر). انتهینا فی عرضنا السابق لجهود الباحثین فی مجال الأسلوب إلی أنّ التناول الأسلوبی إنما ینصب علی اللغة الأدبیة بوصفها مبعث الإحساس بالتنوع والتفرد فی مجال الأداء اللغوی بما فیه من وعی وإختیار وما فیه من انحرافات عن أصل الکلام.

لقد ازدادت ظاهرة الانزیاح ترسخا بظهور الأسلوبیة کعلم یحاول مقاربة ظاهرة الأسلوب مقاربة علمیة وصفیة تستند إلی منجزات الدرس اللسانی الحدیث. ولعل أولی مظاهر هذا الاحتفاء وأکثرها بروزا أن جعلت الأسلوبیة، بمختلف اتجاهاتها، من مفهوم الانزیاح عصب البحث الأسلوبی، واعتمدت علیه فی تعریفها للأسلوب ووظیفته کلما دعت الضرورة إلی الحدیث عن خصائص النص غیر العادی لدرجة أن بعض الأسلوبیین ذهبوا إلی القِران بین الانزیاح والأسلوب، حتی غدا الأسلوب عندهم هو الانزیاح أصلا(المسدی، ۱۹۸۲: ۹۷-۹۸)، ویعلل أحد الباحثین لهذا الحضور المکثف للانزیاح فی ظاهرة الأسلوب بقوله: «ولئن استقام له(أی للانزیاح) أن یکون عنصرا قارا فی التفکیر الأسلوبی، فلأنه یستمد دلالته لا من الخطاب الأصغر، کالنص والرسالة، وإنما یستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأکبر وهو اللغة التی فیها یسبک»(نفس المصدر: ۹۴).

یستفاد ممّا ذکر أن قیمة الانزیاح فی مقاربة الحدث الأسلوبی تأتی من أنه واسطة بین اللغة والأسلوب؛ فلا سبیل لصیاغة الأسلوب من اللغة إلا بالتسامح فی القواعد التی تربط أنظمة اللغة ومکوناتها، تسامحا یتخذ شکل الخروج عن المألوف، أو النمط، بخرق قواعد النظام وانتهاک أعراف المواضعة، وغیرها من التجاوزات التی تضفی علی الأسلوب طابع التفرد ویکسبه تمیزا خاصا کثیرا ما أوعزه الدارسون إلی عبقریة المبدع.

إن مقاربة الأسلوب، فی ظل هذا التوجّه، تُظهر لنا النص الأدبی کخطاب مغایر للخطاب العادی، من حیث انبناء الکلام فیه علی مبدأ الانزیاح عن النمط المألوف للغة صیاغة ووظیفة: فهو من حیث الصیاغة إعادة تشکیل للغة ینبنی علی خرق النظام والإخلال بالعلاقات وتجاوز المواضعات، بشرط ألا تتعدی هذه الانتهاکات الحدّ الذی یخرج بعده الکلام إلی ضرب من المستحیل أو اللامعقول؛ فالانزیاح، بهذا التصور، هو «ذلک المستوی

الأعلى من اللغة التى تهجس وتثور وتطغى، وكونه يحمل كل هذه التشظيات فذلک دليل على المحتمل الدلالى والجمالى المضمن فيه»(فيدوح، ١٩٩٩: ١٣٩)، وهو من حيث الوظيفة تجاوز للحد الأدنى الموكول باللغة أصلا، وهو الإبلاغ، والتطلع إلى إحداث الأثر المرغوب فى المتلقى، وانفتاح النص على تعدد القراءات ودوامها ليستمر التأثير على مرّ الأزمنة، وهى رغبة لا يحققها المبدع إذا التزم بقوانين اللغة ونظمها التزاما حرفيا لقصورها على أن تفى بحاجته، وقصوره على أن يلمّ بكل معطياتها؛ فالانزياح من هذا المنظور وسيلة تمكن المبدع من تجاوز هذا القصور المزدوج، أو هو ضرب من «احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا»(المسدى، ١٩٨٢: ١٠٢).

يكاد الأسلوبيون على اختلاف اتجاهاتهم يتفقون على أن الانزياح هو أخص ما فى الأسلوب من خصائص، ولا يتصورون الانزياح إلا عن شىء ما يُنزاح عنه يُعد بمثابة المعيار الذى يقاس فى ضوئه. غير أن أصعب ما يواجه هذا التصوّر للظاهرة الأسلوبية هو تحديد المعيار المنزاح عنه؛ فهو «مُتصوّر نسبى تذبذب الفكر الألسنى فى تحديده وبلورة مصطلحه»(نفس المصدر:٩٤)، أو هو، كما وصفه آخر: «مفهوم فرّار وكائن ذو عقل لا نجد له فى الواقع أى تصور دقيق»(كابناس، ١٩٨٢: ١٠٩).

لذا فقد اختلف الألسنيون وعلماء الأسلوب فى تحديد المعيار، ولهم فى ذلک مذاهب شتى، نرى من منطلق منهجى بلورتها فى تصورين كبيرين: البحث عن المعيار خارج النص؛ وهو تصور يتكئ على مبدأ التفرقة بين الأسلوب واللاأسلوب، ومقاربة الأسلوب بوصفه نقيض اللاأسلوب(مونين، ١٩٧١: ١٥٨). وتكمن الصعوبة بالنسبة لهذا التصور فى تحديد المستوى الفاقد للسمة الأسلوبية الذى يمكن اعتباره معيارا يقاس فى ضوئه الانزياح. وللأسلوبيين فى ذلک اتجاهات مختلفة. البحث عن المعيار داخل النص؛ وهو تصور ينطلق من معاينة المأزق الذى وقع فيه من بحثوا عن المعيار خارج النص. ويتكئ على مبدأ السياق، باعتباره العامل الكفيل بتحديد العناصر الموسومة أسلوبيا فى النص دون أن تكون لها هذه الصفة مطلقا؛ وهو ما يسمح بالتعليل لإمكانية أن يحقق انزياح ما بعدا أسلوبيا فى حالات ولا يحققه فى حالات أخرى، وكيف يمكن للعبارة الواحدة أن تكون موسومة تارة وغير موسومة تارة أخرى(ريفاتر، ١٩٧١: ٥٦).

الجواهری ومکانته الأدبیة والاجتماعیة

ولد الشاعر محمد *مهدی الجواهری* فی مدینة النجف فی العراق حیث تلقی علومه الابتدائیة والثانویة. تحدّر من أسرة عریقة فی العلم والأدب والشهر وکان والده یصحبه معه وهو صغیر إلی مجالس الأدب والعلم فی النجف. بدأ کتابة الشعر وهو فی ثالثة عشرة من عمره. حالة الاجتماعیة فی النجف، فالجمود فیها أکثر من الحرکة أما عصر *الجواهری* عصر النهضة والانقلاب؛ عصر یتحول فیه الأمة وینتقل فیه الشعب من أسلوب فی الحیاة إلی أسلوب أرق فنشأ شاعرنا فی هذا الدور الحساس بحیث أصبح شخصیة أدبیة ممتازة له أسلوبه الخاص، وله إلهامه واتّجه بأدبه اتجاهاً جدیداً وتعاطی معه إخوانه المتجددین بنهضة أدبیة أخذ علی نفسه أن یبنی رکناً من أرکانها؛ ولکن لا یزال تجدده فی روحه أکثر من تجدده فی الأسلوب؛ فإنّ بین أوراق دیوانه شیئاً من التجدید وعدول عن المألوف وشاعریته متجهة إلی جمال المناظر فی الأکثر وهو وصاف مبدع(الجواهری، ۲۰۰۸: ۵۲-۵۶). عمل مدرساً وصحفیاً والتحق بوزارة الخارجیة العراقیة أسام *الملک فیصل الأول* ودخل مجلس النیابی نائباً عن کربلاء سنة ۱۹۷۴م واستقال بعد سنة واحدة. انتخب نقیبا للصحفیین العراقیین ورئیساً لاتحاد الأدباء العراقیین وأقام فی براغ فی تشیکوسلوفاکیا السابقة لاجئاً سیاسیاً بین ۱۹۶۱ - ۱۹۶۸م وتوفی فی دمشق ودفن فیها(الجواهری، ۱۹۲۸: ۲).

ظواهر العدول الأسلوبی عند الجواهری

یمکن تبیان السمات الأسلوبیة فی شعر محمد *مهدی الجواهری* بالنظر إلی المواضع التی تمثل تجاوزاً وعدولاً عن الوضع الاستبدالی وعن النسق الترکیبی وما یمکن أن یؤثر فی السیاق الأسلوبی عامة:

۱- العدول الاستبدالی

إذا کان الشاعر عامة لا یفکر فی اللغة أو النحو وهو بعید عن تجربته الشعریة إلا أن ما یقوله فعلا لا یخرج من الإطار الذی رسمته القواعد إلا فی حالات قلیلة، وجرت لها البلاغة مسوغات فی سبیل إیجاد لغة ذات طبیعة تواصلیة بوسعها التأثیر فی السامع ملبیة لدیه حاجات فنیة وجمالیة غیر أنّ ما تتیحه البلاغة لکاتب القول الأدبی لا یصل فی کل حالاته

إلى درجة تحطيم القواعد المستقرة للغة وإنما يتبع ما يضمن الظاهرة الأدبية النموى حدود ما تجيزه القواعد أصلاً وهى الحال التى لا تتعدى استخدام بعض الكلمات بعيداً عن دلالاتها المألوفة كما هو شأن فى المجاز والاستعارة أو تصريف فى ترتيب الكلمة بصورة تخالف النسق المألوف كما هى الحال فى التقييم والتأخير أو التذكير على الصيغ المخالفة التى من شأنها كسر تسلسل الكلام ومنعه عن الجريان على وتيرة واحدة، كما تتجلى فى استعمال التضاد. كثيراً ما يجد نفسه أمام طائفة من المفردات يمكن لكلّ واحدة أن تؤدّى معنى المطلوب وطالما يخرج الشاعر البارع معناه من التصور إلى الواقع يختار من هيئات الألفاظ واحدة يسوق بها معناه حينئذ تنعزل سائر الألفاظ المشابهة ثمّ تأتى مرحلة النظم لتستقر الكلمة المختارة فى سياق يقر به النحو وترتب وفق ترتيب المعانى فى نفس صاحبها، وهكذا تتشكل لبنات القول حتى تتم الصورة الكلية وهى صورة لا تخرج عن كونها خطاباً عادياً يؤدّى غرضاً نفعياً يريد الشاعر أو الكاتب تبليغها للمتلّقى.

إنّ صناع الأدب فى تعاملهم مع اللغة يعمدون إلى خلخلة الأنظمة الثابتة للغة؛ فيختارون من المفردات ما يحتمل طاقات التأثيرية واسعة ومن ثمّ تحميلها دلالات إضاقية لينجم ذلک خلال فى العلاقات اللغوية الراسخة. ذلک لأنّ الألفاظ فى أثناء ذلک تلبس دلالات جديدة لتوصل علاقات لم تكن مألوفة من قبل وهذا عمل مقصود يتوخى منه الأديب زيادة الطاقات الإيحائية للألفاظ وتوسيع حقولها الدلالية لتستوعب دقائق التجارب التى يعبر عنها من أجل ذلک كان المجاز وما يتيحه من إمكانات تسعف على تجاوز ما هو مألوف فى المجال الدلالى من أهم الوسائل المثيرة التى تنطوى على منبهات الأسلوبية تمكن الأديب عن ترک بصماته الشخصية على اللغة.

أ.المجاز

لقد عرّف البلاغيون المجاز اللغوى بأنّه الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له(ابن أثير، ١٣٥٦: ج٢: ٧١) أو ما سماه السكاكى «الكلمة المستعملة فى معنى معناها» (السكاكى، ١٩٨٣: ١٥٣) وعلى هذا التعريف تبدو مؤشرات الأسلوب مركزة على مستويين للدلالة: الأول: ما يعرف بدلالة المطابقة وهو ما يفهم من اللفظ الذى انتقل من مجاله الحقيقى إلى مجال مجازى والثانى دلالة اللفظ على شىء أخرجه المتكلم عن معناه بغية

حمل السامع على التأثر به مما يشكل على مستوى الأسلوب انحرافاً عن الوضع يتوقف قبوله على مدى استجابة المتلقى لمثل هكذا الضرب من العدول.

لا يتخذ المجاز فى شعر *الجواهرى* صورة واحدة بل يترجح بين المستويات عدّة ويمكن الوقوف هنا على جانب من مجازاته الجزئية فى علاقتها المرسلة وهو أسلوب يدل على مدى الانحراف الذى بلغه الأسلوب فى التعبير عن تجاربه بصورة تتمّ عن عدوله فمن مجازاته فى هذا الباب قوله هذا:

إقرأ على مصر سلام وقل لها — حيّت رباک روائح وغوادى
نسج الربيع لها الرداء الضافى — وهمت بها كفّ الحياء لو كاف
هم افترشوا خدّ الذليل وأوطئت — لأقدامهم تلک الخدود الضوارع
خطّت علي صفحات عزمک أية — إنّ الحياة ترفعٌ وجهاد
أما حسد الزمان ليالیا — سمح الوصال بها فضن
لئن سلبوا ثوباً أرّثّ فبعدما — كستهم ثياب العار منى القصائد

(الجواهرى، ۱۹۲۸: ۱۰۴ - ۹۱)

ب.التشبيه

إنّ التشبيه كالمجاز يعبر عن انحراف أسلوبى عن الأصل وهو من جهة أخرى يلائم توجهه الوعظى فى شعره الذى يخيل فى مجمله فى باب الاستنهاض والثورة؛ لهذا كان التشبيه أداة طيعة بيد الشاعر ليمتد إلى أقصى ما تحمله الكلمة من دلالات والتشبيه التمثيلى خاصة يختلف عن سائر التشبيهات يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من أشياء متعددة وإذ هو من هذه الناحية مجال لشحن الكلام بدلالات واسعة تجعل المعنى على غاية من التعشب والامتداد ومن ضروب تشبيهه قوله:

كأنّ مياسّ الغصون إذا انتشى — عبّ السحاب يعبّ صرف سلاف
كأنّ الثلوج النازلات على الرّبى — عمائم بيض كوّرت فوق مفرق
الثياب الفرهاء رفّت عليهم — كضماد غطّى جراحا وطعنا

(الجواهرى، ۱۹۲۸: ۲۰۰ و۹۸)

٢-العدول التركيبى

إنّ اللغة فى نسقها المثالى «ما هو إلا ثمرة ترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون»(عبدالمطلب، ١٩٩٣: ٢٦٩) ولهذا كسر نمطية هذا الوفاق علامة أسلوبية تدلّ على مقدار انحراف الشاعر عن الأصل. لقى انصبت جهود *الجواهرى* على كسر الغوى المألوف معتمداً على إمكانات بلاغية كثيرة كالالتفات والتقييم والتأخير والحذف.

أ.الالتفات

كان الالتفات على اعتباره عدولاً وعرّف *قدامة بن جعفر* الالتفات بقوله: «هو أن يكون المتكلم أخذاً على معنى فيعترضه إما شك فيه أو ظنّ أنّ راد يرده عليه أو سائلاً يسأله عن سببه فيلتفت إليه بعد فراغه منه»(ابن جعفر، ١٩٧٩: ٥١) غير أن الالتفات عند البلاغيين تجاوز حد الاعتراض إلى أبواب لا تنحصر فذكر *ابن معتز* أنّه يقترن بانصراف المتكلم من الخاطبة إلى الأخبار(ابن معتز، ١٩٨٢: ٥٨). ومن الالتفات ما قاله فى هذه الأبيات نموذجاً:

سلمت وقد اسلمتنى بيد الأسى — كأنى إلى الموت اتخذتک سلما
قد طويت الحزن أزما — نا فخذه اليوم نشرا
أعيدوا الطفولة لى إنّها — تعيد النزاهة لى والقينا
إياكم والذل إنّ — جرحه لا يضمد

(الجواهرى، ١٩٢٨: ٧٠ - ٥٩)

ب.التقديم والتأخير

يخضع التركيب من حيث ترتيب كلماته إلى نمط يتبع حركة الإعراب التى من شأنها ضبط المعانى وترتيبها وفق النسق الذى أقره النحو مثل أن يكون حق المسند إليه التقديم، ولا مقتضى للعدول عن تقديمه إلا لأغراض حصرت القواعد مجالاتها ومن هنا أضحى من حق المبتدا التقديم على الخبر والفعل على الفاعل والمفعول والموصوف على الصفة غير أن مجالات الاستخدام الأدبى للغة كثيراً ما تخترق هذا النظام لأغراض نفسية

وبلاغية كالتشويق والتفاؤل والتلذذ وقد جری *الجواهری* فی صور من شعره علی ابتداء بالنكرة ومنه قوله هذا:

أ فی العدل صدر لم يضيق منه أضلع — تضيق به الست الجهات الشواسع
أ فی كل يوم للحواسد جولة — أری مقدما فيها الذی كان محجما
لی فؤاد فيكم إن سعرا — بلظی الشوق يقل: هل من مزيد
ولی نزعات أبعدتها عن الخنا — سجية نفس هذّبتها الشدائد

(الجواهری، ۱۹۲۸: ۶۷ و ۷۰ و ۹۴ و ۱۰۲)

ج.الحذف

إنّ طی العامل يفترض وجود أحل له فی صورة الكلام، فإذا ما عمد الكاتب إلی حذفه بقيت صورته ما له فی الذهن لاعتبارات تسترعيها الوظيفة الإعرابية، ويكون الحذف لعلل الكثيرة منها معرفة السامع به وضيق المقام عن ذكره و... إلخ.

تناول *الجواهری* ظاهرة الحذف فی مواضع كثيرة من شعره، ومن أبرزها قوله:

وأنتم إذا الوغي — أعوزه من يوقد
لكما الخيار إذا الرجال تنافسوا — أو حرّروا دعوی بلا مصداق
أين أيها البدر كيف النجاة — وأين إقتنصنا وأنّی رمينا
ألم تريا كيف ضرع الغمام — يرق لهذا النبات الرضيع
حنّت إليک مرابع فارقتها — لو أن بعدا هزّ قلب جماد
يا شرق يا مهد النوابغ شدّ ما — ساوی مكان بينهم وزمان
للناس كان وإن أبت لبنان — فأمين ليس لها ولا جبران

(الجواهری، ۱۹۲۸: ۱۴۳ و۱۲۸و۱۱۳و۹۲و۸۹ و۶۲)

نتيجة البحث

انصب جهدنا فيما سبق علی رصد العدول الأسلوبی(الاستبدالی والتركيبی) فی شعر محمد *مهدی الجواهری*، القائمة علی التنويعات اللفظية وترتيب الكلمات ضمن أنساق خاصة وما نجم عن ذلک من قيم شكلية قد أشير إلی أثرها فی الأسلوب وجری *الجواهری*

فی أسلوبه الشعری علی طرائق المتقدمین من الشعراء خاصة الشعراء العباسیین، مستفیداً من إمکانات بلاغیة، موظفاً طاقاتها الإیحائیة المختلفة فی سیاقات متباینة وهذا إنما یدل علی مقارعته النماذج الشعریة السابقة والنظم علی منوالها، وفی الوقت نفسه الانحراف باللغة قلیلاً أو کثیراً ممّا أسهم فی إظهار بصماته الخاصة علیها. ومع ذلک فجهده یصنف تحت إطار الاحتذاء علی التجارب القدیمة لندرة الألوان المعاصرة عنده، تلک التی أشاعها معاصروه من الشعراء.

لقد بدأ شعر *الجواهری* متواصلا مع واقعه المعاصر أکثر من تواصله مع تأریخه القدیم، فهو یشغل بما کان یشغل به معاصروه من الشعراء خصوصا فیما یتصل بالأسلوب الشعری ممّا یدل علی أنّه لیس بعیداً عن المؤثرات الجدیدة التی هزّت القصیدة المعاصرة هزّاً صارماً. کان التجدید سائدا فی لغة شعره وأسلوبه وشکله ومضمونه؛ لأنّ العصر الذی عاش فیه عصر الانقلاب والثورة ویستقبل تلک المؤثرات علی أنها إمکانات تبعث التطور فی الشعر والحیاة والأمثلة الکثیرة التی تدل علی تواصله مع أحداث عصره وعلی هذا الأساس تندرج أشعاره فی عمومها تحت إطار العصر الحدیث کما تتدرج تحت الوعظ والثورة والابتهال والمراثی والإخوانیات و... وهذه بالطبع مما یحفل به الشعر القدیم خصوصاً شعر العباسی.

لقد مضی *الجواهری* وفق السنن التی یکون الأسلوب بموجبها أقرب ما یکون إلی الالتزام بما اتفق علیه من الجهة البلاغیة خصوصاً، فعدوله عن الأصول لم یکن بمعزل عن البلاغة کما رأینا والأمثلة القلیلة التی تسجل علی أنّها خرق وانتهاک للقواعد. ثمّ إنّها مسوغة فی کثیر من الأحیان أو أنّها لیست فعلاً قصدیاً إذ الغالب علی الأسلوب عنده التمسک بالقیم الفنیة السابقة أکثر من التمسک بالقیم الحدیث وهذا التوجه الأسلوبی یوافق إلی حد بعید الروح الإیمانیة والطبع الإصلاحی الذی تمیز به *الجواهری*. فهذه الشخصیة لا یعنیها الخروج علی ما هو خروجاً سافراً فإذا أرادت اجتیاح بعض أسرار اللغة فعلت کذلک علی استحیاء ولهذا لم تکن تجاوزاته فی حال من أحوالها حباً بالنقض بل حرصاً علی البناء.

إنّ *الجواهری* فی استخدامه العدول الأسلوبی عمد کثیراً علی عدول الاستبدالی والترکیبی وغرض الشاعر فی هذا المستوی نقل مشاعره وتجربته وفکرته إلی القراء

وتقريب إحساساته المؤلمة منهم وتجسم ما فى قلبه وما يقع فى الشوارع. إنّ شعر *الجواهرى* مع ما يمتاز به من خصائص يشكل جزءاً من الثقافة العربية الإسلامية التى تنعكس بصور شتى فى النتاج الشعرى.

المصادر والمراجع

ابن أثير، ضياء الدين. ١٣٥٦ق، **المثل السائر**، بتحقيق أحمد الحوفى وبدوى طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

ابن جعفر، قدامة. ١٩٧٩م، **نقد الشعر**، بتحقيق كمال مصطفى، مصر: نشر مكتبة الخانجى.

ابن جنى، أبوالفتح عثمان. ١٩٩٠م، **الخصائص**، ج ٢، تحقيق محمد على النجار، القاهرة: نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. ١٩٩٣م، **المقدمة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن رشد، أبوالولى محمد. ١٩٧٣م **تلخيص كتاب أرسطوطاليس فى الشعر**، ترجمة عبدالرحمن البدوى، بيروت: دار الثقافة.

ابن معتز، عبدالله. ١٩٨٢م، **البديع**، بيروت: دار المسيرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لا تا، **لسان العرب**، بإعادة يوسف الخياط نديم مرعشلى، بيروت: لا نا.

أبوالعدوس، يوسف. ٢٠١٠م، **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**، بيروت: دار المسيرة.

الأزهرى، أبومنصور. ١٩٥٤م، **تهذيب اللغة**، مصر: لا نا.

الجاحظ، عمرو بن بحر. لا تا، **البيان والتبيين**، ج ٣، عبد السلام محمد هارون، بيروت: المجمع العربى الإسلامى.

الجرجانى، عبد القاهر. ١٩٧٩م، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد رشيد رضا، مصر: مطبعة محمد على صبيح.

الجرجانى، عبد القاهر. لا تا، دلائل **الإعجاز**، تحقيق محمود شاكر، مصر: مكتبة الخانجى.

الجواهرى، محمد مهدى. ١٩٢٨م، **الديوان**، بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

ريفاتير، ميكائيل. ١٩٧١م، **احتبارات لنمط الهيكلية**، باريس- فرنسا: لا نا.

السجلماسى، أبومحمد القاسم الأنصارى. ١٩٨٠م، **المنوع البديع فى تجنيس الأساليب البديع**، تحقيق علال الغازى، الرباط: مكتبة المعارف.

السكاكى، أبويعقوب يوسف بن محمد. ١٩٨٣م، **مفتاح العلوم**، ضبطه نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد المطلب، محمد. ١٩٩٣م، **البلاغة والأسلوبية**، بيروت: دار الكتب العلمية.

الفراهيدى، خليل بن أحمد. ١٩٨٠م، **العين**، تحقيق مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى، بغداد: دار الرشيد للنشر.

فضل، صلاح. ١٩٨٥م، **علم الأسلوب مبادئه واجراءاته**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرطاجنی، حازم. ١٩٨١م، **منهاج البلغاء**، تحقیق محمد الحبیب بن الخوجة، بیروت: دار العرب الإسلامی.
القیروانی، ابن الرشیق. ١٩٥٥م، **العمدة**، تحقیق محمد قرقزان، بیروت: دار المعرفة.
المسدی، عبد السلام. ١٩٨٢م، **الأسلوب والأسلوبیة**، تونس: دار العربیة الکتاب.
مونین، جورج. ١٩٧١م، **مفاتیح اللغة**، باریس- فرنسا: لا نا.
ویس، أحمد محمد. ٢٠٠٢م، **الانزیاح فی تراث النقدی والبلاغی**، دمشق: مکتبة إتحاد کتاب العرب.
ویس، أحمد محمد. ٢٠٠٥م، **الانزیاح من منظور الدراسات الأسلوبیة**، بیروت: مؤسسة الجامعیة الدراسات والنشر والتوزیع.

المقالات والرسائل

صالح، لحلولی. ٢٠١١م، «**الظواهر الأسلوبیة فی شعر نزار قبانی**»، مجلة کلیة الآداب واللغات جامعة محمد خیضر سکرة الجزائر، العدد الثامن.
لوط، آمنة ولوط وداد. «**ظاهرة الانزیاح فی قصیدة إرادة الحیاة لأبی القاسم الشابی**»(رسالة ماجستیر)، الجمهوریة الجزائریة الدیمقراطیة الشعبیة، وزارة التعلیم العالی والبحث العلمی، جامعة منتوری، قسطنطنیة، ٢٠١١م.

Bibliography

Ibn Atheer, Dia 'al-Din; Ahmed Al-Houfi and Badawi Tabana. Yar Nahdet Misr for printing and publishing. Cairo, 1356 AH. S.
Ibn Jaafar, Qudamah; Kamal Mustafa. Publication of Al-Khanji Library. Egypt 1979.
Ibn Janni, Abu Oifah Othman; Characteristics. C. Investigation of Mohamed Ali El Naggar. Publication of the Egyptian General Book Organization. Cairo. 1990.
Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Mohammed; Scientific Books House Beirut, 1993.
Ibn Rushd, Abululay Muhammad; Summarizing the Book of Aristotle in Poetry. Translated by Abdul Rahman Al - Badawi. House of Culture. Beirut. 1973.
The son of Moataz, the servant ...; House of the march. Beirut 1982.
Ibn Manzoor, Muhammad ibn Makram; By Yusuf Al - Khayat Nadim Marashli. Beirut. Do not hesitate.
Abu Aladus, Joseph; stylistic vision and application. March march Beirut. 2010.
Azhari, Abu-Mansour; Egypt. 1954.
Al-Jahiz, Amrobn Bahr; C3. Abdel Salam Mohamed Haroun. Arab Islamic Society. Beirut. Do not hesitate.
Al-Jarjani, Abdel-Qaher; Signs of Miracles. Al - Khanji Library. Egypt. Do not hesitate.
Secrets of rhetoric. Mohammed Rashid Rida investigation. Mohammed Ali Sabeeh Press. Egypt 1979.
Jeweler, Mohamed Mahdi; Freedom House for Printing and Publishing. Baghdad, 1928.

Revatier, Mikael; Structural Pattern Considerations. Daris. France 1971.
Al-Sijalmasmi, Abu Humaid Al-Qasim Al-Ansari; Achievement of gas. Knowledge Library. Rabat. 1980.
Al-Sakaki, Abi Yaqoub Yousef Bin Mohammed; Key of Science. Written by Naeem Zarzour Scientific Books House. Beirut 1983.
Saleh, for my solution; Stylistic phenomena in the poetry of Nizar Qabbani. Journal of the Faculty of Arts and Languages. The eighth issue 2011.
Abdulmutallab, Mohammed; rhetoric and stylistic. Scientific Books House Beirut, 1993.
Farahidi, Khalil bin Ahmed; The investigation of Mehdi Makhzoumi and Ibrahim al-Samarrai. Dar Al-Raid Publishing House. Baghdad, 1980.
Fadl, Salah; Stylistics principles and procedures. Egyptian General Book Authority. Cairo 1985.
Carthaginian, Hazem; Investigation of Mohammed Habib bin Khoja. Arab Islamic House. Beirut 1981.
Kairouani, Ibn al-Rishiq; Knowledge House. Beirut 1955
Lot, Amna, Lot and Dad; The Phenomenon of Displacement in the Poem of the Will of Life by Abi El-Qasim El-Shabi (MA), People's Democratic Republic of Algeria. Ministry of Higher Education and Scientific Research. University of Mentori. Constantine, 2011.
Masadi, Abdul Salam; method and stylistic. Dar Arabic Book. Tunisia 1982.
Monin, George; Language Keys. Paris. France 1971.
Wes, Ahmed Mohamed; displacement in the heritage of monetary and rhetorical. Library of the Union of Arab writers in Damascus. 2002.
Displacement from the perspective of stylistic studies, institution of undergraduate studies, publishing and distribution. Beirut, 2005.